تحت عباءة هذا الرجل يختبئ عشرات المشركين، الذين يرون المدينة سجناً لا يطاق بمحمد وصحبه.. يرون المدينة غريبة دون أصنام.. دون شـرك.. دون سـحر وشعوذة، وبعد تفكير فرضه عليهم انتصار بدر قرر عبد الله بن أبي بن سـلول أن يحمل أقدامه إلى حيث محمد، ليبايعه، وخلفه تثاقل عشـرات الحاقدين، فبايعوا رسول الله ﷺ على الإسلام، ومدوا أيديهم المسمومة إلى يده الطاهرة.. مصافحين معلنين الولاء، فقد أدرك ابـن أبي ومن معه أنـه لا مكان لهم في قلوب الناس، ولا بين حـرات المدينة، وهم على شـركهم. أدركوا ذلك بالتحديد، بعد انتصار المسلمين في بدر، فقد كبر محمد وصحبه في نظرهم وتعاظم في قلوبهم، وهو يطيح برؤوس زعماء أشهر قبيلة عربية، لذلك كونوا صفاً من الخفافيش.. تشرك في الظلام، وتتظاهر بالإيمان تحت الشمس.. كونوا صفاً خطيراً عرف فيما بعد باسم المنافقين:

مولد النفاق

يقول الطفل أسـامة بن زيد: (لما غزا رسـول الله ﷺ بدراً، فقتل الله به صناديد كفار قريش، قال ابن أبي بن سلول ومن معه من المشركين وعبدة الأوثان: هذا أمر قد توجه. فبايعوا الرسول ﷺ على الإسلام فأسلموا)[1] بألسنتهم وخوفاً ممن حولهم من المؤمنين الذين شـكلوا أغلبية سـاحقة على المشركين، وإلا فهو ما زال على كفره.. هو ومـن معه. يتمنون القضاء على هذا النبي ومن معـه، وينتظرون يوماً تثأر فيه قريش لصرعاهـا في بدر، أو تنفجر يهـود، أو تثور هذه الجبال المحيطة بالمدينة، فتدك هذا الإسـلام وأهله. ومرت الأيام والمنافقون ينتظرون شـيئاً من هذا أو ذاك، وفي يوم من الأيـام لاح أمـل للمنافقين، وفركوا أيديهم فرحاً بخبر قـادم من مكة.. فرح المنافقون بخطر قادم من قريش، لعله يجسد أحلامهم.

سننتقل إلى مكة لنعرف ذلك الخبر. ها هو أبو سفيان بن حرب، وقد حصل على زعامة مكة بعد أبي جهل وأمية. ها هو وبعد مشاورات، وندوات واجتماعات يقرر الثأر لطواغيت قريش، ولأصنام قريش. إنه يحشـد الرجال والجمـال والأموال والنفوس، وبعد أن توافر له جيش ضخم يفوق جيش الشرك في بدر.. عزم على التحرك به نحو المدينة، للإجهاز على دولة الإسلام هناك، فتحركت قلوب المنافقين واليهود فرحاً.

أما في المدينة، فالوحي يهمي على العالم مزيداً من النظافة:

---

(١) حديث صحيح. رواه البخاري ومسلم.

النبي ﷺ يأمر بالانتفاع بالخمر

يأمر ببيعها بعد تلك الأحداث التي تسببت فيها الخمرة، وبعد ذلك النكد الذي أحدثته. قام ﷺ على منبره يخاطب أصحابه، وهو يتوجس أمراً سيحدث في المستقبل. فسمعه أحد شباب الأنصار هو (أبو سعيد الخدريّ) وقال: (سمعت رسول الله ﷺ يخطب بالمدينة، قال: يا أيها الناس، إن الله تعالى يعرض بالخمر، ولعل الله سينزل فيها أمراً، فمن كان عنده منها شيء فليبعه، ولينتفع به)[1].

كان للخمر تأثير على مهر فاطمة، وكان للخمر تأثير أشد على بيت الطفل (أنس بن مالك)، فلقد فرق بين أمه وأبيه، بل لقد فرق بين أبيه والمدينة، فبعد نزول قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ ﴾[2]، وبعد خطبة النبي ﷺ تلك.. أحس (مالك بن النضر) والد أنس بضيق الإسلام ورسوله ﷺ من الخمر، وهو مدمن خمر لا يصبر عنها، ورغم أن الخمر لم تحرم حتى الآن، إلا أن مالكاً لا يشعر بالتفاؤل تجاه هذا الموضوع، ولذلك استدعى زوجته الرائعة «أم سليم بنت ملحان» وهي أم أنس، وصارحها بما في نفسه، وأنه يرفض تحريم الخمر إن حرم، وأن حبّه للمسكر أكثر من حبه لزوجته، بل وابنه الوحيد الصغير أنس، لكن الله لم يترك أم سليم ولا ابنها. فالله أرحم بالمؤمنين من أنفسهم.

فُجعت أم سليم بزوجها، ثم بابنها، في قصة من قصص عظماء النساء اللواتي تفاخر بهن أممهن.. قصة أم سليم مع الخمر ومع زوجها وابنها.. يقصّها ابنها أنس فيقول أن والده مالك قال لوالدته أم سليم: (إن هذا الرجل، يعني النبي ﷺ يحرم الخمر.

فانطلق حتى أتى الشام، فهلك هناك)[3] وبقيت أم سليم وابنها في المدينة صابرين مؤمنين، حتى علم رجل مشرك من أهل المدينة بما حدث، فمال قلبه إلى أم سليم، ورغب في الزواج منها، وكان هذا الرجل يدعى «أبو طلحة»، فهل لديه قدرة على تقديم أغلى مهر تطلبه امرأة؟

---

(١) حديث صحيح رواه مسلم (١٥٧٨) تحريم بيع الخمر.

(٢) سورة النساء: الآية ٤٣.

(٣) سنده صحيح رواه أبو داود الطيالسي (٢-١٥٩): من طرق قوية عن ثابت، عن أنس، وثابت البناني تابعي ثقة سمع أنس وللحديث بقية تأتي فيما بعده. وبعضه عند الشيخين.

أبو طلحة ومهر أم سليم الغالي

يقــول أنس رضي اللــه عنه: (جاء أبو طلحة فخطب أم ســليم، فكلمها في ذلك، فقالت: يا أبا طلحة.. ما مثلك يرد، ولكنك امرؤ كافر، وأنا امرأة مســلمة لا يصلح لي أن أتزوجك. فقال: ما ذاك مهرك! قالت: وما مهري؟ قال: الصفراء والبيضاء.

قالت: فإني لا أريد صفراء، ولا بيضاء.. أريد منك الإسلام، [أتزوجك وأنت تعبد خشبة نجرها عبدي فلان؟] «فإن تسلم فذاك مهري، ولا أسألك غيره». قال: فمن لي بذلك؟ قالت: لك بذلك رسول الله ﷺ.

فانطلق أبو طلحة يريد النبي ﷺ -ورسول الله ﷺ جالس في أصحابه- فلمّا رآه قال: جاءكم أبو طلحة غرة الإسلام بين عينيه.

فأخبر رســول الله ﷺ بما قالت أم ســليم، فتزوجها على ذلــك[1]، وكانت امرأة مليحــة العينــين، فيها صغر، فكانت معه حتى ولد لـه بنــي، وكان يحبه أبو طلحة حباً شــديداً، ومرض الصبي «مرضاً شــديداً» وتواضع أبو طلحــة لمرضه أو تضعضع له، «فــكان أبو طلحة يقوم صلاة الغداة يتوضأ، ويأتي النبي ﷺ فيصلي معه، ويكون معه إلــى قريب من نصف النهار، ويجيء ويقيل ويــأكل، فإذا صلى الظهر تهيّأ وذهب، فلم يجئ إلى صلاة العتمة».

فانطلق أبو طلحة عشــية إلى النبي ﷺ، ومات الصبي، فقالت أم سليم: لا ينعينّ إلى أبي طلحة أحد ابنه حتى أكون أنا الذي أنعاه له. فهيأت الصبي «فســجت عليه»، ووضعته «في جانب البيت»، وجاء أبو طلحة من عند رسول الله ﷺ حتى دخل عليها، «ومعه ناس من أهل المسجد من أصحابه»[2]. فقال: كيف ابني؟ فقالت: يا أبا طلحة ما كان منذ اشتكى أسكن منه الساعة، «وأرجو أن يكون قد استراح».

فأتته بعشــائه «فقربته إليهم فتعشــوا، وخرج القوم»، «فقام إلى فراشــه فوضع رأســه»، ثم قامت فتطيبت «وتصنعت له أحســن ما كانت تصنع قبل ذلك»، «ثم جاءت

---

(١) بعد هذه الكلمة قال ثابت البناني - مرت ترجمته في الحديث الســابق - : (فما بلغنا أن مهراً كان أعظم منه أنها رضيت الإسلام مهراً، فتزوجها) وقد فصلت هذه العبارة لأنها من كلامه لا من كلام أنس.

(٢) هم أهل الصفة وهم أهل المسجد.. جاء بهم ليطعمهم.

حتـــى دخلت معه الفراش، فما هو إلا أن وجد ريح الطيب كان منه ما يكون من الرجل مـــع أهله»، «فلمـــا كان آخر الليل» قالت: يا أبا طلحة، أرأيت لـــو أن قوماً أعاروا قوماً عارية لهم، فســـألوهم إياها، أكان لهم أن يمنعوهم؟ فقال: لا. قالت: فإن الله عزّ وجلّ كان أعارك ابنك عارية، ثم قبضه إليه، فاحتسب واصبر.

فغضب ثم قال: تركتني حتى إذا وقعت بما وقعت به نعيت إليَّ ابني، «فاســـترجع وحمد الله»، «فلما أصبح اغتسل»، ثم غدا إلى رسول الله ﷺ «فصلى معه» فأخبره.

فقال رســـول الله ﷺ: «بارك الله لكما في غابر ليلتكما»، فثقلت من ذلك الحمل، وكانت أم سليم تسافر مع النبي ﷺ، تخرج إذا خرج، وتدخل معه إذا دخل، وقال رسول الله ﷺ: إذا ولدت فأتوني بالصبي، فكان رسول الله ﷺ في سفر وهي معه)[1].

أم سليم الآن بصحبة رســـول الله ﷺ، ومعها زوجها، ومعهم رجال كثيرون ونساء أيضاً، ولكن إلى أين..؟

المكان الذي يقصدونه ليس ببعيد، لكنه خطير جداً، وســـبب الســـفر أخطر، وله قصة مثيرة. فهل لديكم وقت للسفر مع رسول الله ﷺ وأم سليم وأبي طلحة وأصحابهم رضي الله عنهم؟

هيـــا بنا، ولكن قبل ذلك أســـتأذنكم للّحاق بهذا الرجـــل المهموم بالإيمان والكفر، وأشياء ثقيلة تملأ رأسه وقلبه.. إنه

جبير بن مطعم والهموم

عاد جبير بن مطعم منكســـراً إلى مكة.. يحمل الحسرة والهزيمة.. تاركاً طواغيت قريـــش في تلك البئـــر المنتنة، وتاركاً عمـــه «طعيمة» مجندلاً علـــى أرض بدر تحرقه الســـوافع، بعد أن أحرقه حمزة بســـيفه الملتهب، ثم عاد جبيـــر إلى المدينة مرة أخرى يطلـــب إطلاق الأســـرى دون مقابل، لكن النبي ﷺ أجابه تلـــك الإجابة العظيمة التي

---

(١) هو حديث أبي داود الطيالســـي الســـابق وما بين المعقوفين عند البزار بســـند صحيح (زوائد - ٢٤٦/٣)، والزيادة الأولى للنســـائي والزيادة الرابعة لابن سعد (٤٣٢/٨) والسادسة والثامنة والثالثة عشر للبخاري ولتفصيل أكثر انظر كتاب الجنائز للشيخ الألباني حفظه الله (٢٤).

يعتــرف بها ﷺ بمعروف والــده (المطعم ابن عدي)، فقال له: (لو كان المطعم بن عدي حياً، ثم كلمني في هؤلاء النتنى لتركتهم له)[1]

فانكسر جبير بن المطعم بن عدي مرة أخرى، ومضى إلى مكة كالحيرة بين الاحترام لوالــده، والاحتــراق لعمه.. عاد يحمل إيمانــاً يرزح تحت أطنان من العــادات والتقاليد والأصنام، وكان أشدّ هذه الموروثات على نفسه شيطان كالجحيم.. شيطان اسمه: الثأر.

حوصر جبير بن مطعم بعد وصوله إلى مكة بالنواح على عمه.. بشقِّ الجيوب، ولطم الخــدود.. حوصــر بالاســتفزاز الجاهلي، حتى غلى الثأر في رأسه وعروقه بعدما جمع أبو ســفيان الكفر وأهله متجهاً بهم نحــو المدينة، فأحسّ جبير بوخز الثأر، فنادى عبداً مملوكاً له اسمه «وحشي»، وكان أمهر الناس برمي الحربة، فهو نادراً ما يخطئ هدفه.

نادى جبير «وحشــياً» ليفتح له باباً للعتق من الذل.. ناداه ليخلصه من هذا الرق، والحصار الكريه.. ناداه وأغراه بأحلام كل العبيد.. أغراه بـ:

حمزة باباً للحرية

يقول وحشــي: (كنت غلاماً لجبير بن مطعم، وكان عمه طعيمة قد أصيب يوم بدر، فلما سارت قريش إلى أُحُد قال لي جبير: إن قتلت حمزة عم محمد بعمي فأنت عتيق.

فخرجــت مع الناس، وكنت رجلاً «حبشــياً» أقذف بالحربة قذف الحبشــة، قلَّما أخطئ بها شيئاً)[2].

خرج وحشــي لا يبحث عن شــيء سوى الحرية.. لا يبحث سوى عن حمزة، فليس لديــه ثأر مع أحد.. كان يبحث عن ثأر من قيود العبودية والرقّ الذليل التي طوّقته بها قريش. كان وحشي مشركاً.. لا يفرّق بين الوسائل نحو الحرية، ولا يهمّه سواها، حتى ولو خاض في دماء طاهرة كدماء حمزة.

---

(١) حديث صحيح رواه البخاري (٤٠٢٣).

(٢) ســنده صحيح رواه ابن إســحاق ابن هشــام٤-١٧: حدثني عبد الله بن الفضل بن عباس بن ربيعة. عن ســليمان بن يســار، عن جعفر بن عمرو بن أمية الضمري عن وحشي. عبد الله تابعي ثقة التقريب ٣١٧ وشيخه وشيخ شيخه تابعيان ثقتان التقريب ٢٥٥ و١٤٠.

obeikandl.com

كان جيش الثأر المشـــرك يسير في اتجاه، وكان وحشي معهم لكنه يسير في اتجاه آخـــر.. اتجاه من الأحلام، والوعود المخضبة بالدماء، حتى وصلوا إلى مكان قريب من جبل أُحد حول المدينة، التي أفاقت على هول الخبر ومفاجأته، وأفاق رســـول الله ﷺ من نومه ورؤياه.

رؤيا النبي ﷺ

كان نائمـــاً، والنبي ﷺ يقول: (تنام عيناي ولا ينـــام قلبي)[1]، وفي نومه ذلك رأى رؤيـــا قال عنها: (إني رأيت أني في درع حصينة. فأوّلتها: المدينة، وأني مردف كبشـــاً. فأوّلتـــه كبش الكتيبة، ورأيت أن ســـيفي ذا الفقار فُلَّ. فأوّلتـــه: فلا فيكم، ورأيت بقراً تذبح. فبقرٌ والله خير، فبقرٌ والله خير)[2].

نهض ﷺ من نومه، وهبّ لجمع أصحابه.. لا ليقرّر، ولا ليأمر بل:

دعاهم ليستشيرهم

وبعدما اجتمعوا شاورهم جميعاً دون استثناء، وكان رأيه ﷺ ورأي بعض الصحابة أن يقاتلـــوا داخل المدينة، وقص عليهم ﷺ رؤياه، لكن أناســـاً منهم لم يحضروا غزوة بدر.. غمرهم الحماس وأصرّوا على الخروج، لتأديب أولئك الوثنيّين، لعل أحدهم عمّ أنس بن مالك واسمه (أنس بن النضر).

يتحدث أنس عن عمّه أنس رضي الله عنهما فيقول: (عمي الذي ســـميت به[3] لم يشـــهد مع رســـول الله ﷺ بدرا، فشق عليه. قال: أول مشـــهد شهده[4] رسول الله ﷺ

---

(١) ســـنده صحيح رواه عبد الرزاق ٢ - ٤٠٥ عن مالك عن ســـعيد بن أبي ســـعيد عن أبي سلمة عن عائشة. ورجاله أئمة ثقات وله طرق أخرى عن غير عائشة.

(٢) سنده قوي رواه أحمد ١-٢٧١ وغيره عن ابن وهب أخبرنا ابن أبي الزناد، عن أبيه، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس. ابن أبي الزناد صدوق ووالده ثقة التقريب ٤٣٣ و٣٠٢ وعبيد الله تابعي ثقة ثبت - التقريب ٣٧٢.

(٣) أي سماني أبي أنساً على اسم عمي أنس.

(٤) يقصد رضي الله عنه غزوة بدر.

غيبت عنه، وإن أراني الله مشهدا فيما بعد مع رسول الله ﷺ ليراني الله ما أصنع)[1] قال أنس إن عمه (هاب أن يقول غيرها)[2].

إن رجالاً بهذه المعنويات لا يمكن أن يقنعوا بقتال الشوارع والمدن.. إنهم يريدون ساحات ومساحات يعانقون فيها الخلود، وينتشون فيها ببريق الشهادة والسيوف. لكن الحماس لا يعني الانتصار، والمعنويات لا تكفي، فخارج هذه المدينة يربض عدو استعدّ وأعدّ وكشّر.. عدو حمل كل ما يمكن حمله للانتقام والثأر، فالبقاء في المدينة أحكم، وأسلم عسكرياً في ظلّ عدم الاستعداد والمفاجأة التي لم تكن في الحسبان، لدرجة أن رسول الله ﷺ كان يحدّث أصحابه وهو في ثيابه العادية حتى الآن، قال رسول الله ﷺ قوله، وأبدى رأيه، وترك الاختيار لأصحابه رضي الله عنهم. (فقال له ناسٌ لم يكونوا شهدوا بدراً: يخرج بنا رسول الله ﷺ إليهم نقاتلهم - ورجوا أن يصيبوا من الفضيلة ما أصاب أهل بدر، فما زالوا برسول الله ﷺ حتى لبس أداته[3]، ثم ندموا وقالوا: يا رسول الله، أقم فالرأي رأيك. فقال رسول الله ﷺ: ما ينبغي لنبي أن يضع أداته بعد أن لبسها، حتى يحكم الله بينه وبين عدوّه)[4].

وقبل أن ينطلق ﷺ إلى أرض المعركة أحب أن يستعرض جيشه، الذي تداعى من كل مكان في المدينة متلهفاً، فأجاز من يستطيع القتال، وردّ صغار السن.

هذا أحدهم: طفل اسمه (البراء بن عازب) رضي الله عنه يقول: (عرضت أنا وابن عمر يوم بدر فاستصغرنا وشهدنا أحداً)[5].

---

(١) حديث صحيح رواه مسلم ٣-١٥١٢.

(٢) هو جزء السابق.

(٣) أي أداة الحرب.

(٤) سنده قوي رواه الحاكم ٢ - ١٤١ وغيره بسند أحمد السابق عن ابن وهب عن ابن أبي الزناد عن أبيه وقد مر تخريجه.

(٥) سنده حسن، رواه الطبراني ٢-٨ حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثني عمي أبو بكر، حدثنا عبد الله بن إدريس، عن مطرف، عن أبي إسحاق عن البراء. شيخ الطبراني ثقة من أوعية العلم قال عنه الإمام الألباني: فيه كلام، لا ينزل حديثه عن رتبة الحسن (الصحيحة - (٤-١٥٦)) وشيخه إمام معروف، وابن إدريس ثقة فقيه، التقريب ٢٩٥ ومطرف بن طريف ثقة فاضل، التقريب ٥٣٤ وأبو إسحاق تابعي ثقة علم مر معنا كثيراً ٤٢٣.

لكن ابن عمر أرجع أيضاً لأنه لم يتجاوز الخامسة عشر.. إنه يقول: (إن النبي ﷺ عرضه يوم أُحد وهو ابن أربع عشرة سنة فلم يجزه)[1] للخروج مع الجيش.

عاد ابن عمر مكسور الخاطر بعد أن ودّع والده الحبيب، لكنه لم يكن أكثر انكساراً ولا حماساً من ذلك الشيخ الكبير، الذي يحاصره أبناؤه الأربعة، وتحاصره الإعاقة.. إنه: (عمرو بن الجموح.. شيخ أعرج شديد العرج، وكان له أربعة بنون «مثل الأُسد يشهدون مع رسول الله ﷺ المشاهد»، يغزون مع رسول الله ﷺ إذا غزا، فلما أراد رسول الله ﷺ أن يتوجه إلى أُحد «أرادوا حبسه»، قال له بنوه: إن الله عزّ وجلّ قد جعل لك رخصة، فلو قعدت فنحن نكفيك، فقد وضع الله عنك الجهاد؟

فأتى عمرو بن الجموح رسول الله ﷺ فقال له: إن بني هؤلاء «يريدون أن يحبسوني» يمنعوني أن أخرج معك، ووالله إني لأرجو أن أستشهد معك، فأطأ بعرجتي هذه في الجنة.

فقال له رسول الله ﷺ: أما أنت فقد وضع الله عنك الجهاد. وقال لبنيه: وما عليكم أن تدعوه، لعلّ الله عزّ وجلّ يرزقه الشهادة)[2].

كان رضي الله عنه يحلم بشوارع الجنّة تلامسها تلك العرجة وتتدلّى من شرفاتها وتخوض في مياهها العذبة.. لذلك توجّه بسؤال ينبض بالشوق إلى رسول الله ﷺ.. لقد (أتى عمرو بن الجموح إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، أرأيت إن قاتلت في سبيل الله حتى أقتل، أمشي برجلي هذه صحيحة في الجنة؟ -وكانت رجله عرجاء- فقال رسول الله ﷺ: نعم)[3].

إجابة ملأت صدر عمرو بن الجموح بالنهار.. إجابة ألجمت الأسود الأربعة، فخرجوا كالأشبال حول هذا الشيخ الجسور.. خرجوا دون أن يودعوا أمّهم فاطمة،

---

(١) حديث صحيح رواه البخاري (٤٠٩٧).

(٢) رواه ابن إسحاق ومن طريقه البيهقي ٣-٢٤٦ والزوائد عند ابن كثير: حدثني والدي عن أشياخ من بني سلمة: ووالد ابن إسحاق تابعي ثقة يروي عن الصحابة ولعل هؤلاء منهم - وهو الأرجح - لأنه يروي بهذه الصيغة عن الصحابة، وهؤلاء جمع ومن بني سلمة - وهم قوم جابر وعمرو بن الجموح، وإلا فالسند مرسل.

(٣) سنده حسن رواه أحمد ٥-٢٩٩ وغيره حدثنا أبو صخر ابن زياد حدثه يحيى بن النضر عن أبي قتادة. أبو صخر حسن الحديث التهذيب ٣-٤١ وشيخه تابعي ثقة التقريب ٥٧٩.

لأنها تسير مع رفيق دربها وحبيبها.. أخرجها الشوق إلى الجنّة مثلما أخرجه، وكان لفاطمة العظيمة هذه أخ اسمه: (عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري) وعبد الله هذا صديق حميم لزوجها عمرو بن الجموح، لكن أحوال عبد الله بن عمرو بن حرام مختلفة عن أحوال صديقه ونسيبه، فقد كان لعمرو بن الجموح أربعة أبناء يحاولون إبقاءه في بيته. أما عبد الله فله ولد وحيد اسمه (جابر) وهو يمنعه الآن من الخروج.. إنه يأمره بالبقاء في المدينة، فظروف بيت عبد الله تستدعي أن يبقى أحد الاثنين، ولابد للابن من أن يطيع والده.

لكن لماذا لا يخرج الاثنان إلى المعركة، كما خرج عمرو وأبناؤه وأمّهم جميعاً..؟

دعونا نتوجّه إلى بيت جابر بن عبد الله.. إنه ليس ببعيد. ها هو البيت.. بيت جميل بالإيمان والأحلام والفتيات.. بيت يغرق بالمشاعر والدموع والرجاء.. في عالم يحار بين:

البنات والمعركة

ومناشدة وحديث حزين يدور بين جابر بن عبد الله ووالده، الذي يصرّ على الخروج، فيخاطب رجولة ابنه وبرّه وإيمانه فيقول: (يا جابر، لا عليك أن تكون في نظاري المدينة، حتى تعلم إلامَ يصير أمرنا، فإني والله لولا أني أترك بنات لي بعدي، لأحببت أن تقتل بين يدي)[1] أجل تقتل بين يدي!!

جابر ووالده لهف على الموت في سبيل الله، لكن الدموع التي تفيض من العيون البريئة، وتلك النظرات الخائفة التي تعصف بقلب هذا الشيخ الكبير.. تتعلّق به، وتريد الاحتفاظ به.. تتغلغل في قلبه كالجروح.. تسع فتيات حزينات.. يتساءلن: هل سيعود والدنا من المعركة، أم أنه الوداع الأخير لهذا الشيخ الحبيب.

عناق ونظرات ودموع تحاصر هذا الشيخ، فيتفطر قلبه ويحسّ بدبيب الموت يسري في عروقه، ويشعر بخطوات اليتم المخيفة تتجه نحو حبيباته الصغيرات، اللواتي طالما انتظرنه في البيت وعلى عتبة الباب، فإذا ما رأينه مقبلاً تراكضن نحوه كالزهرات..

---

(١) حديث صحيح رواه البخاري (٤٠٩٧).

أيهنّ تحظى بقبلة قبل أخواتها.. يتزاحمن على ما يحمله بيديه.. كلهنّ يردن التخفيف عنه، ورؤية ما أحضر لهنّ.. كلهنّ يردن خدمته.. طالما أعددن شرابه وطعامه، وغسلن ثيابه، وغطّينه وهو نائم، ولطالما مرّضنه من حمى المدينة القاسية.

تسع زهرات.. كم حملهن على ظهره، ولاعبهن وضاحكهن، وقصّ عليهن.. كم ألححن عليه ليشتري لهن الملابس والحلي، فيستجيب مهزوماً بالحب..

ذكريات وهموم تثقل الشيخ العطوف وتملأ قلبه، فتخرج الكلمات منه بصوت متهدّج بالحزن، ويقول لابنه جابر: (ما أراني إلاّ مقتولاً في أول من يقتل من أصحاب النبي ﷺ، وإني لا أترك بعدي أعزّ عليّ منك غير نفس رسول الله ﷺ، وإن عليّ ديناً فاقضِ، واستوصِ بأخواتك خيراً)[1]. لكن الكلمات لا تطفئ هذه النار المستعرّة بين أضلاع هذا الشيخ.. لا تكفي لمقاومة ألم الفراق واليتم القادم، فيتّجه به الحزن إلى شيء لا يزال حلالاً حتى الآن.. يتجه به الحزن إلى شيء قد ينسيه بعض الحزن.. قد ينسيه ذلك الشوق المنبعث من تلك العيون البريئة التي لا تُنسى.

والد جابر يشرب خمراً قبل المعركة

يتجه رضي الله عنه إلى الخمر، فيحتسي شيئاً منها علّها تخرجه مما هو فيه.. علّها تسليه حتى تحين ساعة العراك، حيث تذوب الخمر ويشتدّ الأمر، ويذهل عبد الله عن كل شيء سوى الشهادة.

يقول جابر رضي الله عنه: (اصطبح -والله- أبي يوم أحد الخمر ثم غدا فقاتل)[2]، ولم يكن والد جابر هو الوحيد الذي شرب خمراً ذلك الصباح، فلقد (صبح أناس غداة أحد الخمر)[3]، فهل كانت أحزانهم كأحزان عبد الله، الذي يغادر بيته وبناته، ويترك لابنه جابر من الهموم والمسؤوليات الشيء الكثير. لكن جابراً أهلٌ لتحمّلها، لأن الإسلام جعل من جابر بن عبد الله إحساساً مرهفاً.. غيمة تهمي حناناً وربيعاً على أخواته المسكينات.

---

(١) حديث صحيح رواه البخاري (١٣٥١).

(٢) سنده صحيح رواه ابن إسحاق ومن طريقه الحاكم ٣-٢٠٢: حدثني وهب بن كيسان عن جابر، ووهب تابعي ثقة سمع من جابر انظر: التهذيب ١١-١٦٦.

(٣) حديث صحيح رواه البخاري (٤٦١٨).

يقول جابر رضي الله عنه: إن والده (ترك عليه ديناً)[1] و(ترك تسع بنات كن لي تسع أخوات)[2] مسؤولية جسيمة لا تنقضي لولا قول النبي ﷺ: (من عالَ جاريتين حتى تبلغا جاء أنا وهو يوم القيامة، وضم أصابعه)[3]. هذا إذا عال المرء فتاتين، فكيف إذا كان تحت رعايته تسع بنات..؟!

كم يحب الإسلام البنات ويعتني بهن، ويطالب بحبهنّ والعناية بهنّ. هنيئاً لجابر، وهنيئاً له موقعه بين نظاري المدينة الذين يحرسون ثغورها، ويسهرون حمايةً لها.. بشَّرهم ﷺ، وبشَّر غيرهم عندما قال: (عينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله)[4].

بقي جابر على ثغور المدينة، وغادر والده عبد الله بصحبة أخته فاطمة وزوجها ورفيقه عمرو بن الجموح وأبنائه.. غادروا المدينة صاخبة.. مزدحمة بالعناق والدموع. ها هو حذيفة بن اليمان ووالده «حسيل»، اللذان أرغمهما المشركون على أن يقسما ألا يشاركا رسول الله ﷺ في غزوة بدر.. ها هما اليوم على أُهبة الاستعداد والإعداد للفتك بالشرك، لكن الأمر جاء على غير ما يحبّان. إن حذيفة يودع والده الآن، لكن الذي سيبقى هذه المرة هو الوالد، والذي سيغادر هو حذيفة. فلقد أمر ﷺ حسيلاً بالبقاء لحراسة المدينة، كما أمر شيخاً آخر بالبقاء مع حسيل، واسم هذا الشيخ الآخر «ثابت بن وقش»، فبقيا كارهين أن تفوتهما الشهادة.

انظروا إلى هذا المنزل العظيم، ففيه تستعرّ نار الفراق والوجد.. إنه منزل الكريم.. الكريم سعد بن الربيع، الذي عرض نصف ماله وإحدى زوجاته على عبد الرحمن بن عوف.. تناثرت الدموع.. دموع ابنتيه الوحيدتين، ودموع زوجته التي بقيت معه. إن حاله كحال والد جابر. لقد خرج سعد، وخرجنا بعده إلى ناحية أخرى.. ناحية انزوى فيها صحابيان عن الناس.. ماذا يفعلان؟ إنهما يدعوان.. يبوحان، فيبحر الدعاء بهما. دعونا نبحر معهما إلى جزيرة هذا، وجزيرة ذاك، ولكن قبل ذلك نودّ التعرف إليهما.

---

(١) حديث صحيح رواه البخاري (٤٠٥٢).

(٢) حديث صحيح رواه البخاري (٤٠٥٣).

(٣) صحيح مسلم ٤-٢٠٢٧.

(٤) حديث حسن رواه الترمذي وغيره ٤-١٧٥ وفيه عطاء الخرساني مدلس، وله طريق آخر رجاله ثقات عند عبد بن حميد ٤٢٢ وغيره عن صالح بن كيسان قال قال أبو عبد الرحمن سمعت أبا هريرة مرفوعاً.

أمّا الأول، فأوّل من رمى بسهم في سبيل الله، وهو سعد بن أبي وقاص، أمهر من رمى السهام. وأمّا الآخر، فأوّل من قاد سرية لرسول الله ﷺ ولدولة الإسلام الجديدة. إنه عبد الله بن جحش رضي الله عنهما. ها هو سعد يحدّثنا عما جرى في تلك الناحية، فيقول: (إن عبد الله بن جحش، قال له يوم أُحد: ألا تأتي ندعوا الله؟

فخلوا في ناحية، فدعا سعد فقال: يا ربّ إذا لقيت العدو، فلقّني رجلاً شديداً بأسه، شديداً حرده، أقاتله ويقاتلني، ثم ارزقني الظفر عليه حتى أقتله، وآخذ سلبه.

فأمَّن عبد الله بن جحش ثم قال: اللّهمّ ارزقني رجلاً شديداً حرده، شديداً بأسه، أقاتله فيك ويقاتلني، ثم يأخذني، فيجدع أنفي وأذني، فإذا لقيتك غداً قلت: يا عبد الله فِيمَ جدع أنفك وأذنك؟ فأقول: فيك وفي رسولك. فتقول: صدقت)[1].

يا لهذه الجزر الحالمة الساحرة.. يا لهذه الأنفس ما أعظمها.. ترى هل سيجيب الله هذه الابتهالات؟ ستبوح بالإجابة أرض المعركة، وجبل عينين وجبل أُحد سيشهدان على ذلك.

لم كل هذه الحرقة على الموت؟ لم كل هذا الاحتفاء والعشق الذي يحرق الأكباد؟

إنها الجنّة، وهؤلاء الرجال يحتقرون أعمارهم وأعمالهم وفداءهم إذا ما قارنوها بثوابها عند الله.. إنهم مسافرون إلى الخلود، فلو ضرب المؤمن سنين عمره في عدد حبات الرمال المنثورة على وجه الأرض، لما حصل على عدد يقارب سنين عمره في الجنّة، فكيف يلام شيوخ كعمرو بن الجموح، وعبد الله بن عمرو بن حرام، وحسيل.. كيف يلام هؤلاء الشيب، إذا ما نافسوا الشباب على ظهور الخيل والموت، وهم يسمعون رسول الله ﷺ يقول: (يدخل أهل الجنةِ الجنةَ جرداً، مرداً، كأنّهم مكحلون، أبناء ثلاثٍ وثلاثين)[2] (لا يسقمون ولا يبولون، ولا يتغوّطون، ولا يتفلون، ولا يمتخطون)[3].

---

(١) سنده قوي: رواه الحاكم (٨٦/٢) وأبو نعيم في الحلية (١٠٨/١) من طرق عن ابن وهب حدثني أبو صخر عن يزيد بن قسيط الليثي عن إسحاق بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه. أبو صخر هو حميد بن زياد حسن الحديث التهذيب ٣-٤١ وشيخه تابعي ثقة التقريب ٦٠٢ وإسحاق بن سعد وثقة العجلي لفظيا ٦٠ وابن حبان وللحديث شاهد عند ابن سعد ٣-٩٠ و٩١ ضعيف مرسلاً عن ابن المسيب، وابن حنطب.

(٢) حديث صحيح انظر: صحيح الجامع (٣٤١/٢).

(٣) حديث صحيح متفق عليه - المشكاة (١٥٦٤/٣).

قال بعض الصحابة للنبي ﷺ: (فما بال الطعام؟ قال: جشاء ورشح كرشح المسك)[1]، (ينادي منادي: إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً)[2].

إذا فهو الشباب الدائم، والصحة الخالدة، والأمن الذي لا يعرف الخوف.. لا أمراض في الجنة ولا أوبئة ولا مستشفيات، ولا لصوص ولا قطاع طرق ولا طغاة ولا قمع ولا سجون ولا معتقلات، ولا فقر ولا عوز ولا تسول، ولا شيء سوى الثراء والجمال والفتنة والحب والبذخ والنعيم والاكتشاف والسفر عبر الجديد والمثير والسعادة الغامرة التي لا تعرف التوقف أو الملل أو الكآبة. فـ (إذا دخل أهل الجنة الجنّة، وأهل النارِ النارَ يجاء بالموت كأنه كبش أملح، فيوقف بين الجنّة والنار، فيقال: يا أهل الجنّة هل تعرفون هذا؟

فيشرئبون، فينظرون، ويقولون: نعم. هذا الموت. وكلهم قد رآه.

ثم ينادي: يا أهل النار هل تعرفون هذا؟ فيشرئبون، فيقولون: نعم. هذا الموت. وكلّهم قد رآه.

فيؤمر به فيذبح، ويقال: يا أهل الجنّة خلود ولا موت، ويا أهل النار خلود ولا موت)[3].

وقد خطف ﷺ أرواحهم وعقولهم وقلوبهم عندما تحدّث عن الجهاد في سبيل الله، فقال: (غدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها، ولو أن امرأة من نساء أهل الجنّة اطلعت إلى الأرض لأضاءت ما بينهما، ولملأت ما بينهما ريحاً، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها)[4] المؤمنة في الجنة أبهى وأكثر سحراً وفتنة من الحورية.. لا حمل ولا ولادة ولا أمراض للنساء ولا حيض ولا نفاس ولا ترهل ولا شيخوخة..

---

(١) حديث صحيح رواه مسلم - المشكاة (١٥٦٤/٣).
(٢) حديث صحيح رواه مسلم - المشكاة (١٥٦٤/٣).
(٣) حديث صحيح، صحيح الجامع (١٥٢/١).
(٤) حديث صحيح: رواه البخاري (المشكاة - ١٥٦٢/٣).

obeikandl.com

كل هذا السحر.. كل هذا الجمال.. كل هذه الفتنة لنساء الجنّة المؤمنات، فلا عجب أن نرى ضمن الجيش نساءً خرجن للمشاركة في المعركة.. يداوين الجرحى، ويسقين العطشى. في مقدمتهن فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وزوجته عائشة بنت أبي بكر الصديق، وصفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ وأخت حمزة رضي الله عنهم، وأم سليم بنت ملحان المشهورة بـ (الرميصاء) وهي أم أنس بن مالك عليهما السلام، وهي من الأنصار، كما شاركت أنصاريات أُخر منهنّ: أم سليط رضي الله عنها، وفاطمة[1] بنت عمرو بن حرام أخت عبد الله، وعمّة جابر وزوجة عمرو بن الجموح، ونساء أخريات من المهاجرين والأنصار.

ولئن استطاع بعض النساء أن يخرجن مع رسول الله ﷺ في حروبه، فإن هناك من الرجال من لا يقدر على الخروج، والحرج يحاصرهم بعد نزول هذه الآيات:

﴿لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله﴾

يقول أحد الصحابة: (﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ عن بدر والخارجون إلى بدر)[2].

وكانت الآيات قد نزلت كما يحدثنا أول من سمعها وأوّل من كتبها: زيد بن ثابت رضي الله عنه فيقول: (إن النبي ﷺ أملى عليه ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، فجاء ابن أم مكتوم وهو يمليها علي، قال: يا رسول الله، والله لو أستطيع الجهاد معك لجاهدت -وكان أعمى- فأنزل الله على رسوله ﷺ -وفخذه على فخذي- فثقلت عليَّ حتى خفت أن تُرضَّ فخذي، ثم سُرِّي عنه، فأنزل الله: ﴿غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾)[3]، فصارت الآية تقرأ هكذا: ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ

---

(١) سيأتي ذكرهن أثناء المعركة وبعدها في أحاديث صحيحة إن شاء الله.
(٢) حديث صحيح رواه البخاري (٤٥٩٥).
(٣) حديث صحيح رواه البخاري (٤٥٩٢).

obeikandl.com

بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾﴾[1].

لكن ماذا عن أجر القاعدين المعذورين؟

يقول ﷺ: (لقد تركتم بالمدينة أقواماً ما سرتم مسيراً، ولا أنفقتم من نفقة، ولا قطعتم من وادٍ إلا وهم معكم فيه.

قالوا: يا رسول الله، وكيف يكونون معنا وهم بالمدينة؟ قال: حبسهم العذر)[2] فلم يحبس عنهم الأجر، فالمسلم ليس بأعماله فقط، بل بنواياه أيضاً. وإذا كان ابن أم مكتوم قد حبسه العمى، فإن هناك رجالاً حبسهم عن الجهاد رسول الله ﷺ، رغم أنهم لا يشكون من شيء في أجسادهم، ولا يشكّ ﷺ في إيمانهم، وإنما حبسهم عليه الصّلاة والسّلام ليكلفهم بمهمة جهادية داخل المدينة.. هي الرباط، والدفاع عن المدينة.. سواءً من غدر يهودي أو منافق.

المرابطون

على الآطام[3] والحصون.. هم رجال شجعان أوكل إليهم ﷺ حراسة المدينة والرباط فيها، وبشّر المرابطين بأجر عظيم، فقال ﷺ: (رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله، وأجري عليه رزقه، وأمن من الفتان)[4].

وكان من بين الذين حظوا بهذا الأجر والأمر والد حذيفة بن اليمان.. ذلك الرجل الذي منعه العهد والوعد من مشاركة النبي ﷺ في معركة بدر، وصحابي آخر اسمه (ثابت بن وقش بن زعوراء) رضي الله عنهما، فـ (لما خرج رسول الله ﷺ إلى أُحد وقع اليمان ابن جابر -أبو حذيفة-، وثابت بن وقش بن زعوراء في الآطام مع النساء والصبيان)[5].

---

(١) سورة النساء: الآية ٩٥.

(٢) حديث صحيح رواه البخاري ٤- ١٦١٠ وأحمد ٣-١٦٠.

(٣) الحصون.

(٤) حديث صحيح رواه مسلم ٣-١٥٢٠.

(٥) سنده صحيح رواه ابن إسحاق ومن طريقه الحاكم (٣-٢٠٢): حدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود ابن لبيد، عاصم تابعي ثقة مر معنا ومحمود بن لبيد صحابي.

استعدّ الجميع، وتأهبوا للخروج إلاّ رجلين.. الأول لا حاجة به إلى الاستعداد، فهو لا يملك من هذه الدنيا شيئاً يحتاج إلى وداع أو وصية، فأملاكه كلّها في صدره.. إنه (مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف) ابن الأم الثرية.. الشاب المنعم أيام شركه.. لا يملك الآن إلاّ سيفه، وقرآناً يملأ صدره، ويملأ بيوت المدينة بعد أن سافر في قلوب الأنصار، وزرع فيها العلم، وثقفها بالإيمان.. هذا هو مصعب بن عمير الذي لقبه الأنصار بـ«المعلم».

أمّا الآخر فشاب يتمتّع بأحلى أيام عرسه.. إنه الآن مع عروسه.. يتبادلان عذب الكلام والأحلام.. صفو المشاعر والغرام، وفجأة يدوي في المدينة داعي الجهاد، فينسل (حنظلة بن أبي عامر) من قرب حبيبته، ويتحول العاشق إلى محارب يودع عروسه بحرارة المحبِّ الذي لن يعود، فتهمي دموعها وتستودعه الله الذي لا تضيع ودائعه، فهو أغلى ما تملكه. ويغيب حنظلة عن عينيها، فتغيب في همومها وأحزانها التي لا تدري متى تنتهي.. أحزانها التي لا يخفّفها سوى الإيمان.

خرج ﷺ من المدينة متوجهاً نحو أُحد.. حاملاً سيفه «ذا الفقار» الذي غنمه من غزوة بدر، ولم يكتف ﷺ بلبس درعه، بل لبس عليه درعاً آخر حيث يقول أحد الصحابة: (إن رسول الله ﷺ ظاهر يوم أُحد بين درعين -أو لبس درعين-)[1].

وإذا كان النبي ﷺ الذي يحفظه الله من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه وشماله، ومن فوقه ومن تحته يحتاط كل هذا الاحتياط، فصحابته أولى. يقول الزبير رضي الله عنه: (رأيت رسول الله ﷺ قد ظاهر بين درعين يومئذٍ)[2]. ثم انطلق ﷺ لملاقاة حشود الشرك المحتقنة.. كانت رايته ترفرف في الهواء (كانت سوداء من نمرة)[3] صوف، أما لواؤه ﷺ فكان لواؤه (أبيض)[4].

---

(١) سنده صحيح رواه أبو داود ٢-٣٧ وغيره عن يزيد بن خصيفة عن السائب بن يزيد عن أحد الصحابة، ويزيد ثقة ووالسائب صحابي أيضاً.

(٢) سنده صحيح رواه ابن إسحاق ومن طريقه البيهقي (٢٣٨/٣) حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، عن جده، عن الزبير . يحيى ثقة ووالده تابعي ثقة.

(٣) صحيح أبي داود ٢-٤٩١ وقد حذفت لفظاً ضعيفاً من الحديث هو «مربعة».

(٤) المصدر السابق ٢-٤٩١.

وكان كل شـــيء في هـــذا الجيش يرفرف للجنّة وعوالمها الســـاحرة.. كان الرجال يتجمّلون للشـــهادة، إلاّ أشـــباه رجال خرجوا بأجساد نخرة، ومعنويات يجرّونها خلفهم كالذلّ.. رجال يرتجفون من كل شـــيء حولهم، ويحســـبون كل صيحـــة عليهم.. خوفاً خرجـــوا.. خوفاً صحبوه ﷺ، لكن هلعهم تفاقم عندما اقتربوا من الحقيقة -المعركة.. عندها تحركت الخيانة في دمائهم، ونهضت كالشـــيطان تشـــير بأصبعها إلى الوراء.. تأمرهم بالعودة إلى المدينة، وترك محمد ﷺ وأصحابه، فاستجابوا ورجعوا.

صـــدم الصحابة بما حدث، ولـــم يصدم ﷺ، لأنه يعرفهم. صعـــق الصحابة بما يجري.. هل هؤلاء مسلمون؟ هب أنهم غير مسلمين، هل هذا التصرّف- العار من شيم العرب، وأخلاق العروبة؟

أيـــن الرجولة.. أين النخوة؟ هباء.. كل شـــيء داخل هؤلاء الخونة هباء، إلاّ الكفر والحقد. لكن الصحابة لم يســـكتوا، ولم يتحمّلوا هذا الموقف المخزي. قرّر بعضهم أن يبـــدأوا بقتال هـــؤلاء الأنذال الجبناء قبل أن يقاتلوا جيش مكّة المشـــرك، لكن البعض فضّل عدم إهدار طاقتهم وتدنيس أيديهم بدمائهم القذرة، وهذا ما مال إليه ﷺ، فلا بدّ من التركيز على الخطر الداهم - العاجل.

يقول زيد بن ثابت ملخصاً ما حدث من خيانة: (إن رسول الله ﷺ خرج إلى أُحد، فرجـــع ناس خرجوا معه، فكان أصحاب رســـول الله ﷺ فيهـــم فرقتين: فرقة تقول: نقتلهـــم. وفرقة تقول: لا. فأنزل اللـــه: ﴿ فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴾.

فقـــال رســـول الله ﷺ: إنهـــا طيبة وإنهـــا تنفي الخبـــث كما تنفـــي النار خبث الفضة)[1].

تلألأت الفضّة ولمعت بعد أن تعرضت لنار الشـــدائد، فانســـلخ خبث النفاق عنها، ورجع الخونة دون أخلاق إلى جحورهم في المدينة كالحيات.. كالعقارب، وأصبح جيش محمد ﷺ قليلاً.. ضعيفاً إلاّ بالإيمان، لكن قلّة العدد والخيانة واســـتعداد العدو خيّم للحظات على بعض الأنصار وهم (بنو حارثة، وبنو ســـلمة) فقد كاد الإحباط والفشـــل أن يستولي عليهم، لكن القرآن يفعل المعجزات.

---

(١) حديث صحيح رواه البخاري (٤٥٨٩)، وأحمد (١٨٤/٥) واللفظ له وأكملتها للفائدة.